Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

أهداف الترجمة
بين العربية والفارسية ودواعيها

الدكتور محمد شكيب الانصاري
(جامعة الشهيد چمران ـ الاهواز)

لا ريب في أن تجاور الأقوام والأمم المختلفة واتصالاتهم الإقتصادية والإجتماعية، كان من أهم اسباب الإقتباس والنقل من لغه إلى أخرى لكي يتم التفاهم بينهم في الحياة اليومية. ثم ينسحب تأثير ذلك على العلوم والآداب والتاريخ. فيخرج مترجمون يتقنون اللغات المتجاورة. وحتى غير المتجاورة لينقلوا ما تحتاجه شعوبهم من علوم الشعوب الأخرى وادابها.

ولم يشذ عن ذلك الشعبان المتجاوران العربي والفارسي عن هذا المنهج الطبيعي... وهذا ما يتحدث عنه الدكتور الأنصاري في مقاله التحقيقي القيم فيما يلي:

عني الايرانيون منذ أقدم الأزمنة بأمر الترجمة. ففي العهد الأخميني (القرن السادس قبل الميلاد)، ونظرا لاتساع رقعة الامبراطورية الايرانية آنذاك، واختلاف ألسنة شعوبها، كان الملوك الأخمينيون يؤرخون الحوادث ويكتبون الفرامين والمراسيم بثلاث لغات، من بينها اللغة الفارسية القديمة، كما فعل داريوش الكبير في تدوين كتيبة قناة السويس، الموجودة حاليا في متحف القاهرة، وفي غيرها مما عثر عليه في طاق بستان في محافظة كرمنشاه، وفي اپادانا في شيراز. ثم إنّ ملوك ايران القدامى قد اهتموا ايضا بنقل الكتب الفلسفية والعلمية والادبية من اليونانية والهندية، ومن اللغات الرائجة حينذاك الى اللغة الفارسية القديمة، مثلما كان يجري في جامعة جندي شاپور في شمال الأهواز آنذاك. وبعد ظهور الاسلام، واعتناق الايرانيين الدين الجديد، وتعلمهم اللغة العربية، أخذوا يترجمون الكتب الفارسية الى العربية، كما فعل ابن المقفع الذي ترجم كتاب «كليله ودمنه» وكتاب «خداينامه» وكتاب «الأدب الكبير» و «الأدب الصغير» وتراجمة آخرون جاء ذكرهم في فهرست ابن النديم. واستمرت حركة الترجمة في ايران حتى عصرنا الحاضر، فماذا كانت

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

أهدافها ودواعيها؟

إن اهداف الترجمة في ايران قبل الاسلام كانت سياسية، إدارية، علمية، وأحياناً دينية. ولأنّ علوم العرب وآدابهم وقتئذٍ كانت شفوية، فلم نقرأ أن الايرانيين كانوا قد ترجموا من العربية شيئاً، أو أن العرب قد نقلوا علوم الفرس الى لغتهم. وكل ما نعرفه عن تلك الازمنة الغابرة هو أن بعض الحكايات والأساطير الفارسية كانت متداولة بين عرب الحجاز، عند بدءِ الدعوة الاسلامية، وأن المفردات الفارسية قد وردت في أشعار بعض الشعراء الجاهليين، أو كما أشرنا آنفاً أن داريوش الكبير قد أمر في عهد الفراعنة بحفر قناة السويس. ولعلّ اسم السويس هو مصغّر (السوس) عاصمة الأخمينيين شمال الأهواز. وأرخ داريوش ذلك العمل في كتيبة عثر عليها في منطقة القناة، جاء فيها[1]: «أنا داريوش الفارسي أمرتُ بحفر هذه القناة، فحفرت كما أمرتُ، واخذت السفن تمر من خلالها...» هذه الكتيبة دونت بثلاث لغات: البابلية، والمصرية، والفارسية القديمة. ونعرف ايضاً أنه كان في بلاط الساسانيين مترجمون عرب ذوو لسانين، يجيدون العربية والفارسية مثل عدي بن زيد، وزيد بن عدي، علاوة على ذلك فإن الآثار المكتوبة الباقية منذ عهد ماد حتى انقراض الدولة الساسانية تثبت بما لا يقبل الشكّ أنه كان بين العرب والفرس تبادل لغوي وعلمي وثقافي من خلال استخدام الخطوط السامية في كتابة اللغة الفارسية القديمة، سواء الخط المسماري الذي أخذوه من سكان بين النهرين الذين هاجروا من الجزيرة العربية واخترعوا الخط المسماري للكتابة حينذاك، أو الخط السامي الآرامي الذي أصبح الخط الرسمي في الكتابة. هذا وتشير الوثائق التاريخية الى أن كتاب الدواوين في الدولة الساسانية كانوا من العنصر السامي الآرامي وغير الآرامي، وقد اخترعوا خطاً جديداً لكتابة اللغة الفارسية القديمة على اساسٍ من الخطوط السامية سمّي بخط «الهزوارش». واسلوب هذا الخط هو كتابة الكلمات المكتوبة بالخط السامي المستعمل آنذاك، وقراءة معادلها بالفارسية القديمة. فمثلاً حرف الجر الفارسي «أَز» كان يكتب «من» ويقرأ «أَز». وهكذا «دَسْتْ» تكتبُ «يَد»، وتقرأ «دست»، و«روز» تكتب «يوم» وتقرأ «روز». و«شب» تكتب «ليل» وتقرأ «شب»[2]. وحتى الخط الذي كتبت به النصوص الدينية القديمة «افستا» كان سامياً في الاصل[3]. وبعد ظهور الاسلام، واعتناق الايرانيين الدين الحنيف، أصبحت الترجمة ضرورةً دينية تمثلت بترجمة القرآن الكريم، وما يتعلق بأمور الدين الجديد من العربية الى الفارسية. يقول أبو عثمان الجاحظ في «البيان والتبيين» عن موسى بن سيّار الأسواري أنه كان من أعاجيب الدنيا وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه الى الفرس، فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يُدرى بأيّ لسانٍ هو أبين؟[4] وهكذا أصبحت الترجمة ضرورةً دينيةً لدى الايرانيين، يتعرفون من خلالها أصول دينهم، وتعاليم كتابهم المقدس (القرآن) والى جانب ذلك كله، كانت الترجمة في صدر الاسلام ضرورة ادارية وسياسية، إذ إنّ دواوين الدولة الاسلامية خاصةً ديوان الخراج في العراق (مركز الدولة الساسانية ومحل عاصمتها طيسفون (المدائن) الواقعة جنوب بغداد)، كانت تكتب باللغة الفارسية.

بعد سنة ٨٤ هـ ـ ق فكرت الحكومة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان ووالية على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بتعريب الديوان. فكلفت رئيس الديوان المدعو صالح بن عبد الرحمن السيستاني تلميذ زاذان فروخ الرئيس السابق للديوان بهذا الأمر. وكان صالح السيستاني هذا قد أجاد اللغة العربية وتمرس فيها،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

علاوة على اللغة الفارسية، لغته الأصلية، إذ كان من أهالي ولاية سيستان الايرانية. وينقل المؤرخون حوارا ظريفاً جرى بين صالح السيستاني الذي كلف بالتعريب وزملائه من أبناء جلدته في الديوان المذكور. جاء فيه: «سأله مردان شاه بن استاذه زاذان فروخ: وكيف تصنع بـ«دهويه» و«بيستويه»؟ قال: وأكتب «عشر» و «نصف العشر»، قال: وكيف تصنع بـ«أيدى»؟ قال: وأكتبه «أيضاً». قال: وما تصنع بـ«وند»؟ قال: «الوند»: النيّف، والزيادة تزاد»[٦٥]. وفي العصر العباسي ازداد التفاعل الثقافي بين الأمتين العربية والايرانية، فالثورة على الحكم الأموي بدأت من خراسان وكان على رأس القوى الثائرة أبو مسلم الخراساني. وبعد تسنم العباسيين لمقاليد الخلافة، ظهرت أسرٌ ايرانية في الساحة السياسية، وتقلدت ارقى المناصب في الدولة الجديدة أمثال أسرة البرامكة وبني سهل، وازداد التفاعل الثقافي واللغوي والادبي بين العربية والفارسية، والعرب والفرس أكثر من ذي قبل. فقد عاش الشعبان معاً منذ العصور الغابرة. ولم يكن الفرس، ولم تكن لغتهم وآدابهم بغريبةٍ على العرب، بل كانت الصلات وثيقة والعلاقات قائمة بين ايران والحجاز، بين ايران ومصر، بين ايران واليمن، بين ايران والعراق. وكانت اللغة الفارسية القديمة (الفهلوية) لغة العلم والحضارة في العصر العباسي، لغة الحكم والادارة، لغة الأدب والخطابة، وتبادل الرسائل، وكتابة التاريخ والسير. والدولة الاسلامية الحديثة التي اتخذت عاصمتها شمال العاصمة الساسانية «المدائن»، وبنت قصورها من آجر قصور كسرى واعوانه، وفي بستان العدل «باغ داد»، كانت بحاجة ماسة الى الوزراء والمدراء والاعوان الايرانيين. وكانت تواقة للاطلاع على سير الملوك وآدابهم، وأساليبهم في الادارة والحكم. فاتجهت الى الترجمة وشجعت المترجمين الذين نقلوا تُراث ايران الى العربية، هؤلاء المترجمون الذين ذكرهم ابن النديم مفصلا في فهرسته[٦٦] قد اشتهروا بالترجمة ونقل الكتب من الفارسية القديمة الى العربية. لكننا اليوم لا نعرف عن تلك الترجمات الكثيرة إلا النزر القليل. وكما يقول الدكتور محمد محمدي، استاذ جامعة طهران سابقا: «إن تلك الترجمات إما فقدت على مرّ العصور والأزمان، وإما قد اندمجت واختلطت مع الكتابات العربية الأخرى، مثل كتب التاريخ والحكمة وغيرها». والايرانيون في عصرنا الراهن من أجل الاطلاع على تاريخهم القديم، وثقافتهم السالفة يلزمهم معرفة اللغة العربية التي تعد مصدراً أساساً وفريداً من مصادر التاريخ والثقافة الايرانية. فهذا كتاب كلية ودمنة مثلاً ترجم في العهد الساساني من اللغة الهندية الى الفارسية القديمة، وفي العصر العباسي نقله المترجم الايراني عبد الله بن المقفع الى العربية، ثم ترجم بعد قرون من العربية الى الفارسية الحديثة.

الجدير بالذكر أن أشد المتعصبين للغة الفارسية اليوم ليسوا في غنى عن معرفة اللغة العربية. فمثلاً ابراهيم پور داود (رحمه الله)، مع تعصبه الشديد، اضطر في كتابه «تاريخ الثقافة الايرانية القديمة» الى مراجعة ستة عشر مصدراً عربياً قديما، ذلك لان كتب التاريخ والأدب العربي تعد من المصادر الاصلية التي تطرقت الى تاريخ ايران والحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية للايرانيين سابقاً. يقول الجاحظ في باب الخطابة والخطباء: «وقد علمنا أن اخطب الناس الفرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً، وأحسنهم دلاً، وأشدّهم فيه تحكماً أهل مرو، وأفصحهم بالفارسية الدرية أهل قصبة الأهواز»[٦٧]. وابن النديم في فهرسته يشير الى مجموعة من الكتب الفارسية التي ترجمها عبدالله بن المقفع مثل: «كليلة ودمنة» وكتاب «خداينامه» وكتاب «الآئين» (آئين نامه)، وكتاب «الأدب الكبير» و «الأدب الصغير» وكتاب «اليتيمة» في الرسائل[٦٨]. ويفرد ابن النديم أيضاً أبواباً

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

اللغة والأدب أن يفهمهما وأن يدركهما ما لم يدرس العربية وعلومها وآدابها المنظوم منها والمنثور. لذا فإن طلاب اللغة الفارسية الى جانب دراستهم الادب الفارسي، فإنهم يدرسون عشرين وحدةً دراسية في الصرف والنحو والبلاغة وتاريخ الادب ونصوصه بالعربية. ولهذا السبب بالذات ظهرت قديما وحديثا معاجم لغوية عربية فارسية وبالعكس. ولهذا السبب ظهرت الترجمات والشروح والحواشي لكتب الادب الفارسي وفنونه لتوضيح المفردات والمقتبسات العربية التي تتخلله[١١٦].

وواقع الامر أن المفردات العربية البسيطة والمركبة منها تشكل نسبة عالية من المعجم اللغوي الفارسي، وقد تصل هذه النسبة الى أكثر من أربعين بالمائة من مفرداته. وأن أكثر شعراء ايران وأدبائها القدامى كانوا ينظمون الشعر باللغتين العربية والفارسية. وخلاصة القول إن العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية بين الشعبين العربي والفارسي كانت في أغلب الأزمنة قائمة على أساس من روح التعاون والاحترام المتبادل، خاصة بعد ظهور الاسلام الذي وحد الشعبين على أساس من الدين والعقيدة. وإن التفاعل الثقافي والتبادل الحضاري بين الأمتين ولغتيهما وآدابهما كان جاريا تسوده روح التآلف والتقارب. وهذا ما ترك آثاره جلية في تينك اللغتين وآدابهما حتى الآن. وكما ذكر استاذنا الجليل المغفور له الدكتور صلاح رمضان الصاوي في كتابه «قطاع في تيار التفاعل بين الادبين الفارسي والعربي»[١١٧]: «لا شكّ في أنّ الحضارة الفارسية، بمقوماتها العريقة وتجاربها الانسانية الخصبة، قد مثلت ركنا ركيناً في تشييد صرح الحضارة الاسلامية، وأنها أمدتها بالكثير من العوامل الفعالة في ازدهار جوانبها المتعددة، خاصة الجانب الادبي. إذ الحقيقة الواقعة أن الادب العربي لم يحدث له أن تأثر حتى أوائل عصر النهضة الحديثة بحضارة أو فكر ما، قدر تأثره بالحضارة الفارسية والفكر الفارسي. وهذا التطور أو التحول الذي نقل أدب العربية من وصفه بأدب عربي الى كونه أدباً اسلامياً، ما كان ليحدث لولا هذا الخصب أو الثراء الذي أمدّته به هذه الحضارة. ولولا التزاوج بين المزاجين الادبيين للشعبين العربي والفارسي تحت لواء الاسلام في وثبته الظافرة[١١٨]. وهكذا فإن دوافع الترجمة ودواعيها كانت في الحقيقة، ضرورةً سياسية وادارية ووطنية أولاً، وحاجةً دينية عقيدية ثانياً، وضرورة لغوية وأدبيةً ثالثاً. ومن أجل تحقيق تلك الاهداف، والاستجابة لتلك الدواعي، فقد قامت حركة علمية اكاديمية على الصعيدين الجامعي والحوزات العلمية الدينية في ايران، خاصة بعد قيام الجمهورية الاسلامية. فوفقاً للمادة السادسة عشرة من الدستور الجديد، يجب تدريس اللغة العربية بعد المرحلة الابتدائية وحتى نهاية المرحلة المتوسطة في جميع الصفوف والحقول الدراسية. وفي المرحلة الابتدائية ايضا هناك درس التربية الدينية والقرآن الذي يتضمن ترجمة النصوص القرآنية واحاديث الرسول (ص) وشرحها باللغة الفارسية. وعلى الصعيد الجامعي فقد فتحت فروع للغة العربية في أكثر من ثلاثين جامعة وكلية حكومية وغير حكومية. وفي الدراسات العليا، أصبحت دراسة الدكتوراه في اربع جامعات، ودراسة الماجستير في ثماني جامعات من ضمنها جامعة شهيد چمران بالأهواز، بعد أن كانت دراسة الدكتوراه قبل قيام الجمهورية الاسلامية تنحصر بكلية الالهيات في طهران، ودراسة الماجستير تنحصر بفرع واحد بجامعة طهران. أما الحوزات العلمية الدينية فمناهج الدراسة فيها هي كما كانت عليه منذ قرون، يعني دراسة كتب الفقه والاصول والحديث والتفسير والكلام وغيرها المؤلفة باللغة العربية، ويكون تدريسها بترجمتها وشرحها للطلاب باللغة الفارسية. وإذا ما عرفنا أنه توجد في كل مدينة لا يقلّ عن أربع حوزات

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:33 IRDT on Monday August 31st 2020

علمية، يظهر لنا مدى اهتمام الايرانيين اليوم باللغة العربية والترجمة والنقل المكتوب والشفوي عنها. ولا بأس هنا أن نذكر بعض الكتب الدراسية في الحوزات العلمية الدينية اليوم، كشاهد لما ذكرنا

يبدأ الطالب بدراسة العلوم العربية، فيدرس كتاب «الصرف» للسيد مير شريف الجرجاني صاحب كتاب «التعريفات»، ثم كتاب «التصريف وشرحه» للزمخشري، ثم كتاب «العوامل» للجرجاني وكتاب «الهداية في النحو»، قيل انه للزمخشري، ثم يبدأ بدراسة شرح السيوطي لكتابي «ألفية ابن مالك»، و«مغنى اللبيب» لابن هشام الانصاري ـ وشرح «المطول والمختصر في البلاغة» لسعد الدين التفتازاني، و «المنطق» للشيخ المظفر ثم الكتب الفقهية والاصولية والكلامية وكتب التفسير الأخرى.

ونضيف هنا في مجال الدراسة الجامعية، أن اللغة والعلوم العربية تدرس في فروع الاسلاميات بميزان ٤٠ وحدة دراسية من أصل ١٣٥ وحدة في مرحلة الليسانس. تشتمل على الصرف والنحو والبلاغة والترجمة والمحادثة وتاريخ الادب العربي. فحريٌّ بنا اليوم نحن علماء ومتعلمين أن نعتبر بماضينا الزاهر، ونتفهم ضرورات عصرنا الحاضر ومن أجل حياة أفضل لشعبينا العربي والايراني اللذين وحّدهما الاسلام تحت راية التوحيد معلناً ﴿إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً، وأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدون﴾ فنتعاون ونتواصل في جميع المجالات، خاصة العلمية والثقافية منها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والهوامش

١ـ حسن پيرنيا، تاريخ ايران باستان، ج ١ ص ٥٦٨.

٢ـ الدكتور مهدي باقري، تاريخ زبان فارسي، ص ٧٧ ط. طهران.

٣ـ المصدر السابق، ص ٧٨.

٤ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٣٩ ط. بيروت.

٥ـ أصل الرواية لبلاذري في فتوح البلدان، ط. مصر، ص ٣٦٨.

تصحيح الدكتور محمدي، مجلة كلية الالهيات، طهران، العدد ٣ و ٤ لسنة ١٣٤٩ هـ. ش.

٦ـ ابن النديم، الفهرست، ص ٢٢٤ ومابعدها، ط. طهران.

٧ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٩، ط. بيروت.

٨ـ الفهرست، ص ١٣٢ ط. طهران.

٩ـ المصدر السابق، ص ٣٤٠.

١٠ـ المصدر نفسه.

١١ـ المصدر السابق، ص ١٣٢.

١٢ـ المصدر السابق، ص ٣٧٧ و ٣٧٨.

١٣ـ المسعودي، مروج الذهب، ج ١ ص ٢٤٨ ط. مصر.

١٤ـ الفهرست، ص ١٣٢ و ٣٧٦.

١٥ـ ترجمها القاضي رفيع الدين بن محمد الهمداني المتوفى سنة ٦٢٣ هجري قمري.

١٦ـ الدكتور السيد محمد دامادي: مضامين مشترك در أدب فارسي وعربي، منشورات جامعة طهران.

١٧ـ طبع ايران، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع.

١٨ـ الدكتور صلاح رمضان الصاوي: قطع في تيار التفاعل بين الأدبين فارسي وعربي، المقدمة الاولى.